

آليات تطوير الخطاب الديني المسجدي

Mechanisms for the development of religious discourse

د. محي الدين عباسي¹

Dr.Abbessi moheddine

المعهد العالي للعلوم الإسلامية بالقيروان، تونس.

abbessimoheddine@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/19 تاريخ القبول: 2022/12/20 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص :

يقدم هذا البحث جملة من الآليات المساعدة على تطوير الخطاب المسجدي، وذلك بهدف رفع أداء مُقدّم هذا الخطاب منهاجاً ومضموناً، وتأثيراً في المستمعين تعلماً وفهماً، وإنجازاً وتطبيقاً، وتمثّل أهمّ نتائج هذا البحث في أن تطوير هذا الخطاب حركة دائبة لا تتوقف، لعلاقته بواقع المسلمين المتغير، انطلاقاً من مبادئ الإسلام وقيمه، وأهمية تكامل دور المخاطب والمخاطب في المساهمة في تطوير هذا الخطاب، فضلاً عن ضرورة تضافر الجهود في التنشئة على القيم لأنّ المسؤولية مشتركة بين الجميع، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع .

كلمات مفتاحية : الآليات، التطوير، الخطاب، الدّين، المسجد.

Abstract :

This research offers a variety of mechanisms to help develop the dictatorial discourse with a view to enhancing the presenter's performance in a systematic and substantive manner and influencing listeners The most important result of this research is that the development of this discourse is a constant and uninterrupted movement. Its relationship to the changing reality of Muslims, based on the principles and values of Islam, and the importance of integrating the role of speakers and speakers in contributing to the development of this discourse as well as the need for concerted efforts in nurturing values

¹ - الباحث المرسل

because responsibility is shared by all, and its impact on the individual and society.

Keywords: mechanisms, development, discourse, religion, mosque.

1. مقدمة:

يُعتبر الخطاب الديني من المواضيع المهمّة في عصرنا الحاضر ، لأنّه يعدّ من المفاتيح الدّالة على نضج المجتمعات لكونه آليّة نافذة لتحقيق الأهداف، ونواة في عمليّة التّواصل بين الباثّ والمتلقّي، وقيّما على التّدكير والإرشاد والتّوجيه وإيقاظ الهمم، ومساهما في تقدّم الأفراد والمجتمعات في مختلف المجالات العلميّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة...، وعليه بات من الأکید الاهتمام بهذا الخطاب وتقييم رسالته تقييما يهدف إلى تطويره، وتتمحور إشكالية البحث في بيان مفهوم الخطاب الديني والعلاقة الجدلية بين الخطاب والدين، وإبراز الآليات المساهمة في تطوير الخطاب المسجدي.

ويهدف البحث إلى تقديم خدمات مفيدة للمعنيّين بالشأن الديني عموما، وللقائمين على الخطاب الديني على وجه الخصوص، من خلال اقتراح آليات تساعد على تطوير هذا الخطاب وتجويد أدائه شكلاً ومضموناً، والارتقاء به من أجل أن يكون أداة لتبليغ الرّسالة الإسلاميّة، ووسيلة لبناء الإنسان الذي يعرف دينه ويندمج في محيطه ، وينفتح على عصره ، كما يهدف إلى فتح المجال أمام دراسات ميدانيّة وأبحاث دينيّة وتربويّة ونفسيّة، تحاول فهم حقيقة ما يحدث في مساجدنا وطبيعة الممارسات التّواصلية والبيداغوجيّة بشكل حيّ وواقعي، لتكون مرتكزات نبي عليها رؤانا المستقبلية وننطلق منها لإصلاح الخطاب الديني في المساجد، كما يحيل هذا البحث إلى مشاريع أخرى تتطرّق لواقع هذا الخطاب خارج المسجد سواء في الفضاءات التّعليميّة والتّربويّة والإعلاميّة والافتراضيّة وغيرها...

ويعتمد البحث على جملة من المناهج ومنها المنهج الاستنباطي لجملة من الآليات المساهمة في تطوير الخطاب الديني المسجدي، مروراً بالمنهج الاستقرائي في تجميع النصوص وتتبع أهمية الخطاب الديني المقدم في المسجد، وانتقالاً إلى المنهج التحليلي لتوضيح قيمة هذه

الآليات في أبعادها المختلفة، وصولاً إلى المنهج النقدي الذي وضّفته كلما دعت الضرورة، بقصد جعل هذا الخطاب مرتبطاً بمشاغل الفرد والمجتمع وبيرواح العصر، ومواكبا للأحداث في مختلف المجالات .

2. تعريف الخطاب الديني:

إذا كانت الدلالات المعجمية للمفردات والألفاظ ضرورة علمية ومنهجية لتحديد المفاهيم والمعاني أحدد في البداية مفهوماً للخطاب لغة واصطلاحاً، ومبيناً علاقة الخطاب بالدين، وأن الخطاب الديني المقصود في هذا البحث هو الخطاب الديني في المساجد و المتمثل في المحاضرات والدروس والمواعظ والخطب الجمعيّة...

1.2 مفهوم الخطاب:

الفرع الأول: الخطاب لغة : جاء في لسان العرب الخطاب والمخاطبة: «مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحقّ والباطل ويميّز بين الحكم وضده» (ابن منظور، 1988، ص 856).

والخطاب كما ورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم (معنى خاطب) : « خاطبه مخاطبةً وخطاباً: تكلم معه، والخطب: الشّأن الذي تقع فيه المخاطبة »، (مجمع اللغة العربية، 1996، ص 123)، وقد ورد لفظ الخطاب في قوله عزّ وجلّ: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ) {سورة ص، الآية : 20}، وقد وردت كلمة الخطاب في المعجم الوسيط «بمعنى الكلام والرّسالة» (مصطفى وآخرون، 1989، ص 243)، وهو «المواجهة بالكلام أو ما يخاطب به الرّجل صاحبه، ونقيضه الجواب» (العدناني، 1980، ص 113)، في حين وردت لفظة الخطاب في المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة، بمعنى «الكلام الموجه إلى الجمهور من المستمعين في مناسبة من المناسبات» (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، 2000، ص 396)، و في كتاب الكلّيات هو « الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنّه لا يسمّى خطاباً» (الكفوي، 199، ص 419).

إنّ الخطاب مفردة لغويّة يشير إلى مصدر الفعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة، وهو يدلّ على توجيه الكلام لمن يفهم، أي نقله من الدّلالة على الحدث الوارد من الزّمن إلى

الدلالة الاسمية، فأصبح قديماً يدلّ على ما حوَّط به وهو الكلام، (الشهري، 2004، ص36)، قال شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي: « أي ما ينفصل به الأقربين بين المتخاطبين في الخصام ونحوه، لأنّ كلاً من الخصمين يخاطب خصمه بما ينفعه، والخطب الأمر العظيم الذي يحتاج فيه إلى تخاطب، (الحلبي، 1996، ص 59) ويعرف أسلوب الخطاب بأنّه « أسلوب يعتمد على المحسنات اللفظية والتأثير العاطفي » (الحلبي، 1996، ص396).

وقال الأصفهاني: خطب الخطب المخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام ومنه الخطبة بضمّ الخاء تختصّ بالموعظة، ويقال من الخطبة خاطب وخطيب والخطب الأمر العظيم الذي يكثر منه التخاطب قال الله تعالى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ) {سورة طه، الآية: 95}. وقال عزّ وجلّ: (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) {سورة الحجر، الآية: 57}، وقال سبحانه: (وَفَصَّلِ الْخِطَابِ) {سورة الدّاريات، الآية: 31}، ما ينفصل به الأمر من الخطاب، (الراغب الأصفهاني، د. ت، ص 70) قال الزمخشري: خطب، خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، (الزمخشري، 1979 ص 114).

أستنتج مما سبق أنّه عندما نرجع إلى الجذور اللغوية للفظه الخطاب أجد معناها يدور حول الكلام بقصد الإبانة، وحول ما يتلقّظ به، فالخطاب لغة بيانية تهدف إلى نقل الأفكار والمعارف عبره، وهو « مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل المتكلّم أو الكاتب أن ينقلها إلى المرسل إليه أو السامع أو القارئ، ويكتب الأوّل رسالة، ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما »، (يعقوب، 1987، ص 175)، إذ الخطاب « يقتضي هيئة مرسله DESTINATEUR، ورسالة MESSAGE، ومرسلاً إليه DESTINATAIRE، ويبقى المرسل إليه الهدف الذي إذا استحباب للرسالة تحقّق هدف المرسل فالخطاب DISCOURS، ممارسة لغوية تواصلية يتشكّل وفقاً للموضوع الذي يصنع بنيته ». (Greimas . & Courtes, 1979 P 102).

2.2 الخطاب اصطلاحاً:

الخطاب هو كلّ نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محدّدة من المتكلّم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف

والممارسات التي تمّ فيها، (الطيار، 2005، ص 12)، فالخطاب هو المنطوق به « موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصاً » (طه 1998، ص 215)، والذي يصلح أن يكون كلاماً .

وذهب التّهانوي إلى أنّ الخطاب هو: « توجيه الكلام نحو الغير للإفهام »، (التّهانوي، 1972، ص 175)، ويؤكد الجرجاني أنّ الكلام هو « المعنى المركّب الذي فيه الإسناد التامّ أو ما تضمّن كلمتين بالإسناد » (الجرجاني، 1978، ص 287)، ويورد الزّمخشري تفسيراً لفصل الخطاب بقوله: « إنّّه الكلام المبين الدالّ على المقصود بلا التباس » (الزّمخشري، 1987، ص 80)، وذهب الزّمخشري إلى أنّ الكلام هو: « تركيب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى » (الأمدي، د. ت، ص 17)، ويعرّف الأمدي الخطاب فيقول: « إنّ الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه » (الأمدي، 1980، ص 136)، وخصّ الأمدي الكلام الموسوم بالبيان والتّبيان وتجنّب الإبهام والغموض واللبّس، بمعنى الخطاب، فخلق تلازماً بين المصطلحين: " كلام " و " خطاب"، (الأمدي، 1985، ص 385)، وعرف ابن جني الكلام على أنّه « الخطاب، والخطاب هو لفظ مستقلّ بنفسه، مفيد لمعناه، يتّسم بالأصل الشّفهي » (ابن جني، 1999 ص 3). وعرّف معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة الخطاب بأنّه « مجموع التّعابير الخاصّة التي تتحدّد بوظائفها الاجتماعيّة و مشروعها الأيديولوجي »، (علوش، 1985، ص 83)، وهناك من عرّف الخطاب بأنّه « الطّريقة التي تشكّل الجمل نسقاً متتابعاً، وتشارك في كل متجانس و تنوّع على السّواء، ثم إنّ الجمل تترابط في الخطاب كي تصنع نصّاً » (مكدونيل، 2001، ص 73).

ويتأسّس مفهوم « الخطاب التّوعوي على بعد التّواصل، وكلّ الكتابات التي تناولت هذا المفهوم أو تلك التي ضمّنته في سياقاتها الفكرية اشغلت عليه بوصفه حالة تواصلية » (Mainguneau, 1994 (P 75)، (الجاري، 1994، ص 10)، تجمع بين طرفين: المتكلّم، « وما يتجاوز المتكلّم من فعل التّلقي المفتوح على الزّمن، فالخطاب بوسائله المختلفة اللغويّة وغير اللغويّة يرتبط حيويّاً بأنّ المتكلّم، ومجموع المحدّدات الذاتيّة والسّياقيّة التي تخضع لها هذه الأنا » (إسماعيل، 1974، ص 41)، فالخطاب هو فعل التّوظيف للغة، وأيضاً

هو فعل مشاركة المعنى مع المتلقي، ويتشكل المعنى من تلك الأفكار التي يريد المتكلم تقاسمها مع المخاطب، و«توجيه كفاءات التواصل بما تحقق له من مواصفات تؤثر على المتكلم وعلى علاقته باللغة و إلى أي مدى يتحقق التلقي المثالي وفق موجبات هذا السياق» (يونس، 2004، ص 13).

ويمثل المتلقي عنصرًا حيويًا في منظومة التواصل، أما المتكلم في الخطاب فيعتبر الأصل والمبدأ في مشروع التواصل وفي إنتاج الخطاب، في حين أنّ التلقي هو ممارسة مفتوحة بين المتكلم والمتلقي، لذلك نقول إنّ الخطاب يمتلك أهميته وحيويته مفهومه، من خلال العلاقة التي تربط بين المتكلم وما يقدمه من خطاب، والمتلقي المستهدف من الخطاب، « وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرّف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار» (أبو عطايا و أبو زينة، 2007، ص 687)، وقد وسّع مصطفى ناصف نطاق الخطاب، حين أشار إلى « وجود خطابات كثيرة، وطرق مختلفة لدراستها مؤكّداً أنّ العلاقات الاجتماعية لا يستوعبها خطاب واحد» (ناصر، 1995، ص 332)، ومن هذه الخطابات الخطاب الديني .

3.2 جدلية الخطاب والدين:

إنّ علاقة الخطاب بالدين، تشكّل موضوع التلقي، الذي ينتجه المرسل إلى المتلقي، فالديني هو المقولة التي تمثّل حمولة هذا الخطاب، وما يخبر عنه من عقيدة وحقائق، تشكّل مجموع المعاني التي يتغني منتج الخطاب تمريرها إلى المتلقي، ويحتّم تناول الخطاب الوقوف عند قضية المعنى، ذلك أنّ الخطاب لا يمكن له أن يحقق وظيفته التواصلية إلا من خلال اصطحاب علاماته المعنى ما، ويتصل المعنى الديني اتصالاً وثيقاً بمصادر الدين الذي يتحرّك في إطاره هذا المعنى.

إنّ الخطاب الديني الذي نقصده في هذا البحث هو الخطاب الإسلامي، « والإسلام هو الدين الذي نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون من المنذرين للناس كافة، بلسان عربي مبين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم العزيز الرحيم، وعليه فالخطاب الإسلامي هو الرسالة التي نزلت عن طريق الوحي،

لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم، وهذا الخطاب هو الذي يحدّد المصلحة من المفسدة، والصّالح من الطّالح، والمستقيم من المعوجّ، والمؤمن من الكافر، والصّواب من الخطأ، ويقرّر السّلم من الحرب، وهو الميزان الذي يفصل في ميزان الخلق إلى الجنّة أو النّار، هذا هو الخطاب الإسلامي المقدّس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « (أبو عطايا و أبو زينة، 2007، ص 687)، وهو محفوظ بحفظ الله إلى يوم القيامة قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) {سورة الحجر، الآية: 9}.

فالخطاب الدّيني هو الخطاب الذي يستند إلى مرجعيّة إسلاميّة قرآنا وسنة، وسائر المصادر الفرعيّة الأخرى، « سواءً كان منتج الخطاب منظّمة إسلاميّة أم مؤسسة دعويّة رسميّة أم غير رسميّة أم أفرادا متفرّقين، جمعهم الاستناد إلى الدّين وأصوله كمرجعيّة لرؤاهم وأطروحاتهم، لإدارة الحيات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والمؤسّساتيّة والثّقافيّة التي يحيونها، أو التعاطي مع دوائر الهويّات القطريّة أو الأمميّة أو الوظيفيّة، التي يرتبطون بها ويتعاطون معها، والخطاب الإسلامي يمتاز بالتّجديد في إطار أسس العقيدة الإسلاميّة، وترتبط مضامينه بحاجات المسلمين، وفق احتياجاتها ووفق أولويّاتها، وتتصل مقاصده لمعالجة التّحديات التي تواجهها الأمة» (الدسوقي، 2001، ص 57).

ويُقصد بالخطاب الدّيني أيضا النّصوص التي كتبها المختصّون في الشّريعة الإسلاميّة حول بعض القضايا التي تثير إشكاليّات، سواء ما كان منها في مستوى الطّرح، أم في مستوى المفاهيم، ولهذا فلا بدّ من التّفريق بين النّصّ الدّيني والخطاب الدّيني، حيث أنّ فهم النّص ليس دينا، باعتبار أنّ هذا الفهم يمكن أن يكون صائبا كما يمكن أن يكون خاطئا، وأنّ القصور في الخطاب الدّيني لا يعني قصورا في الدّين، فهناك فرق بين الدّين كوحى ربّاني يشكّل نظريّة حياة متكاملة خالدة، وبين إخفاق المسلمين في ترجمة النّظرية إلى واقع حضاري، فالخطاب المتطرّف مثلا لا يعبر أبدا عن قيم الإسلام ورسالة الرّسول التي هي أساسها الرّحمة، والحاجة تدعو إلى « قراءة صحيحة للنّصّ الدّيني تنأى عن التعصّب والدغمائيّة وتقبل الأخذ والرّدّ وتتسم بالموضوعيّة والواقعيّة» (التميمي، 2006، ص 56)، فالخطاب الدّيني هو «رسالة تصدر عن باثّ يعي طبيعة مرجعيّتها العقديّة والقيميّة، وحاجة المتقبّل إلى تمثّل مضامينها واعتمادها في تدبّر تعاليم الدّين الجامع بينهما وإدراك

حقائقه مبرأة من كل ضروب الشوائب و البدع والأباطيل» (العليوي، 2008، ص 10)، كما أن الخطاب الديني « أداة فاعلة للإبلاغ والتأطير والتوعية الشاملة وتثقيف الناس الثقافة التي يحتاجونها في حلهم وترحالهم وفي معاشهم ومعادهم » (المزوغى، 1998، ص 78).

والخطاب الديني هو ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتمون إلى المؤسسات الإسلامية، في بيان الإسلام عقيدة و شريعة، سواء كان ذلك من خلال الخطب أو الدروس أو التأليف أو البرامج الإعلامية..، وقد يدخل في ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والجامعات الشرعية من جهة أخرى، بل يمكن أن يوسّع مفهوم الخطاب الديني، ليشمل النشاط الإسلامي، والنشاط الدعوي، وعمل الجماعات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية بشكل عام الفقهي منها والعلمي والدعوي والتربوي، ونوع النشاط الذي تقوم به لتقييم مدى نجاحه وفشله وقربه من المقاصد العامة للتشريع، ومن بعد ذلك تقويمه وإصلاحه وتجديده .

فالتأخر إلى مفهوم هذا الخطاب يلاحظ أنه لا يقتصر على الأقوال والتصوص المكتوبة والمسموعة، وإنما يشمل كل المواقف الأيديولوجية ذات الصبغة الدينية أو العقائدية، ووراء هذا الخطاب يُعبّر عن وجهة نظر محدّدة إزاء قضايا دينية أو دنيوية، حيث « يشمل الخطاب الديني مجموع ما يُعرض، في المقول والمكتوب، من الرّوى، والتأويلات، و الاجتهادات، والفتاوى، والأحكام التي يستخلصها أصحابها من قراءة النصّ الديني، وتنزله في الواقع، ويتنوّغون بنشرها الإسهام في تعميق الوعي بمقاصد الدين الحنيف وحاجة الناس إلى الاعتصام بمبادئه السامية، وتجسيد قيمه السّميحة، تحقيقاً للمصلحة التي هي غاية الشريعة الغراء، وسعيًا إلى التبصير بما به النهوض بمسؤوليات خلافة الله في الأرض» (العليوي، 2008، ص 10).

وتبعاً لذلك أستنتج أنّ الخطاب الديني متنوّع وليس نسخة موحّدة ونمطيّة، ولكن وحدة الأصول التي ينطلق منها تجعل قواسم مشتركة تجمعهم، وبالتالي فإنّ اتّساع مجالات وصور هذا الخطاب يمكن أن نحددها في ثلاثة مستويات: أوّلها الخطاب الذي تنتجه المؤسسات الدينية، وثانياً الخطاب الديني الذي يُنتج في المساجد وهو خطاب متنوّع يخضع للاجتهاد الشّخصي في الكثير من الأحيان، وأمّا المستوى الثالث فيتحدّد في حياة الناس اليومية ويعبّر

عنه الحديث اليومي للأفراد وعبر تفاعلاتهم الاجتماعية، فالخطاب الديني المنتج يمكن أن يكون محاضرة أو درسا أو موعظة أو مقالة أو برنامجا إذاعيا أو تلفزيونيا أو في منابر الندوات أو في الصحف و المجالات أو خطبة منبرية في المسجد و نحو ذلك...

وما يهم في هذا البحث هو المستوى الثاني الذي تمت الإشارة إليه، والمتعلق بالخطاب الديني في المساجد والمتمثل في المحاضرات والدروس والمواظع والخطب الجمعية...

3. آليات تتعلق بالمخاطب :

المخاطب هو الذي يقدم خطابا دينيا في المسجد، سواء كان ما يقدمه خطبة أو محاضرة أو درسا أو موعظة، ويمكن أن نقسم الآليات المساعدة على تطوير خطابه وتجويد آدائه كالاتي :

1.3 الإعداد والاستعداد :

بجيد الإعداد وحسن الاستعداد الذي يشمل الجوانب الروحية والتفسيية والفكرية، يتمكن المخاطب من تقديم خطاب مفيد للمستمعين في المساجد باعتماد جملة من الآليات ومنها :

- آلية الإخلاص لله تعالى: إن إخلاص المخاطب لله تعالى ابتغاء مرضاته، كفيل بزرع الثقة في المخاطب، وهذا يساعده على النجاح في خطابه، فكم من شخص يعتري خطابه جملة من التقائق في الوسائل والآليات والمعاني لكن ذلك الخطاب ينفذ إلى القلوب والعقول، بسبب إخلاص صاحبه لله، لهذا على مقدم الخطاب الديني أن يتذكر دوما «مزلق السقوط في الرياء والتظاهر والتفاخر، ويحذر من ذلك فإن الله عز وجل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»(النفاتي، 2019 ، ص 82).

فالدعوة إلى الحق يجب أن تكون خالصة لوجه الله، نقيّة وطاهرة وصافية وركية من الغرور والتكبر والأهواء والإعجاب بالنفس المفرط ، والرغبة الحقيقية في إيصال الحق إلى أصحابه لتكون النتيجة إحلال الهداية محل الضلال، وإدخال البهجة والراحة واطمئنان النفس بدل التعاسة والشقاء، لأن الله عز وجل يقول في كتابه: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ {سورة الرعد، الآية: 28}.

- آليّة الأمانة والمسؤوليّة: وتمثّل في إدراك المخاطب لجسامة هذه المهمّة باعتبارها فرضاً على كل مسلم وهو مقتضى الأمر من الله بالدعوة يقول الله سبحانه وتعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) {سورة النحل، الآية: 125}، ويقول أيضاً: (ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) {سورة يوسف، الآية: 8}، وإن « كانت الدعوة تختلف من شخص إلى آخر حسب الاستطاعة والإمكان » (التميمي، 2006، ص 57).

- آليّة الكفاءة: من الضروري أن يتمتّع الدعاة والوعاظ والخطباء والمحاضرون والمدرسون بالكفاءة العلميّة في تحصيل العلوم الشرعية من فقه، وتفسير وحديث.. مع إجادة لفنون التلاوة وعلوم النحو والصرف وغيرها.. (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) {سورة التوبة، الآية: 122}، وهذا يساعدهم على النجاح في خطابهم المسجدي وفي تقديم الإفادة المطلوبة والتأثير في المتلقين وإقناعهم .

- آليّة الاعداد: ويتمثّل ذلك في حسن اختيار الموضوع المرتبط بمشاغل الناس لكي لا يكون كلام المخاطب غريباً منبئاً « فَإِنَّ الْمُنِيبَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » (البيهقي، 2003 رقم الحديث 4743)، والإعداد العلمي للخطاب المقدم والمنهجية المعتمدة وجمع النصوص الدينية والشواهد النقلية والعقلية ، ومن المهم أن يتخيّر المخاطب «التّصوُّص الواضحة البينة التي لا تثير التّأويلات المتعدّدة، حتى لا يساء فهمه » (النفاتي، 2019 ص 77)، والإعداد الجيّد لبرنامج الدّروس في المساجد والإعلام والإشهار الجيّد لها حتى يُقدِّم النّاس على الحضور والاستماع إليها والاستفادة منها .

- آليّة الأداء والإلقاء: هي آليّة مهمّة من حيث « سلامة اللّغة ومستوى الصّوت وشدّة انتباه المصلّين .. وحتّى على مستوى الهندام المظهر » (النفاتي، 2019، ص 82)، والعناية بزمن الخطاب وعدم الإطالة في الإلقاء الذي يسبب ضجر المستمعين، وعدم التّقصير فيه الذي يؤدي إلى عدم إعطاء الموضوع حقه في التوضيح والبيان، أو طرح عدّة مواضيع في خطاب واحد فيشوش على ذهن المستمع، أو العناية بالأداء والإلقاء فقط على حساب التّركيز على المضمون والهدف المطلوب من الخطاب، ومعلوم أنّ انتهاج ال طريقة المناسبة لإيصال الخطاب الدّيني يتطلّب بلاغة البيان، ووضوح الكلمة، وقرّبها من نفس المستمع، ما

يجعلها تصل إلى عقول المتلقين وقلوبهم، والكلمة المؤثرة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل وعيهم وفكرهم، فتنقى الفكر من الخرافة، والعقيدة من الشرك، والعبادة من البدع والأهواء، والأخلاق من التحلل والانهيار.

والخطابة فنّ تحتاج إلى مواهب خاصّة، وخصائص هامة، ومنها الصوت القوي المؤثر، والقدرة على الإقناع واستمالة الحضور، والتعبير بالحواسّ مع الكلمات، ومخاطبة العقل والقلب في آن معا، وموضوعيّة الطّرح، وترابط الأفكار، واستخدام الجمل القصيرة المعبّرة، والألفاظ المألوفة، ومناسبة لهجة الإلقاء للمعاني، والإلقاء « فنّ يستقيم إتقانه بالدّربة والمران حتّى يغدو ملكة راسخة تكون بها منهجيّتها قائمة على حسن الجمع بين عمق المضمون، وبلاغة الصّوغ، وجمال الإلقاء، ومن مقوّمات الإلقاء الصّحيح تمكين الحروف من مخارجها بحيث يتمّ النطق بما نطقاً سليماً... وكذلك تنوع كميّيات النطق بالجمل بحسب طبيعة ما تؤدّي من المعاني... وقرن القول بالإشارة المناسبة من جملة الأسباب الميسّرة لاستقطاب الانتباه، واستثارة حال المتمثّل، واستحداث هزّة التّأثر» (النفاعي، 2019، ص 13).

- آليّة التّقويم والضّبط للمخاطبين: من الآليات المهمّة المساعدة على نجاح المقدم للخطاب الدّيني في المساجد إدراكه أنّ الخطاب موجّه لكافة الفئات والشرائح الاجتماعيّة، فإراعي في ذلك اختلاف المخاطبين من حيث مستوياتهم الثقافيّة والاجتماعيّة-وخاصّة إذا كانت الفئة المستهدفة من الأميين وكبار السن-وذلك بالاعتماد على لغة واضحة ومفهومة ومبسّطة، ومخاطبة النّاس بما يفقهون، وتخيّر الألفاظ التي يعرفون

2.3 آليات تتعلّق بمضمون الخطاب:

من الآليات المتعلّقة بمضمون الخطاب:

-آليّة القوّة في الطّرح: إنّ الخطاب المسجدي إذا لم يكن قويّاً في طرحه فإنّه سيراح مكانه، ومن وجوه القوّة في الطّرح ين يقوم بصياغة خطابه «واتقا بذاته، ثابت الجنان، منطلق اللّسان متخطّياً كل أسباب الارتباك الموقع في الموقف الحرج الذي ينال من وقاره وهيبته، ويلحق به غصاضةً يأبأها، ولا يراه المأمومون إلا بمنأى عن دواعيها» (العلوي، 1429هـ/2008م، ص 14)، وحتّى وإن طرأ له طارئ ساعده إعداده واستعداده على النّجاح في تجاوز ذلك بحكمة ومهارة.

وأن يتدرب على كَيْفِيَّاتِ الخطاب ووسائله، فهذا اليوم صار علماً يُدرّس، وأيضاً التوثيق والضبط العلمي وذلك حتى يتمكن المخاطب من إقناع المستمعين وبنال احترامهم، لأنّ توثيق المادّة المطروقة، وإرجاع الأقوال إلى قائلها، والاستشهاد بإحصاءات المنضبطة والربط بين المقدمات والنتائج ربطاً مناسباً مُحْكَمًا، والبعد عن الأقوال الضعيفة والشاذّة، كلّ ذلك سبيل لإقناع المخاطب، فكم من خطيب أو مدرّس أو واعظ اتّصف باللطف والتواضع والرفقة ودماثة ولين الجانب، ولكنّه كلما تقدّم للخطاب شعر النَّاسُ أنّ بينه وبينهم حجاباً أو حاجزاً، بسبب ما يعترى خطابه من ضعف كبير وهشاشة في المبنى والمعنى .

- الآلية اللغويّة: وتتمثّل في الالتزام بأساليب وقواعد اللّغة العربيّة في تفسير النّصوص الدّينيّة وتأويلها، باعتبار «أنّ الخطاب الدّيني دعامة لغة القرآن، وأداته الأساسيّة، والعلاقة متينة بينه وبينها، فاللّغة العربيّة وعاء ممتاز للتعبير عن أغراض الخطاب الدّيني، وهذا الأخير صورة بيانيّة، من مراميها ترسيخ اللسان العربيّ الفصيح بين النَّاسِ» (المزوغي، 1998م، ص 79)، واللّغة العربيّة هي لغة الوحي فقال تعالى: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) {سورة الزمر، الآية: 28}، وكذلك السُنّة جاءت بهذا اللسان العربي، و هي جزء من الدّعوة الإسلاميّة،» ولذلك أصبحت العربيّة بوضعها الرّاهن حالة عقائديّة وتاريخيّة وسياسيّة فهي عقائديّة بارتباطها بالقرآن، وهي تاريخيّة بمقاومتها لعوامل التّغيير، وثباتها في مواجهة رياح التّعرية، وهي سياسيّة بما تحرك من قوى معادية تريد القضاء عليها باعتبارها أعظم مقومات بقاء هذه الأمة العربيّة المسلمة «(شاهين، 2001، ص 1123)، لذا كان اتباع أساليب وقواعد اللّغة العربيّة في بيان معاني النّصوص الدّينيّة من أُلزم الصّوابط في الإطار التّجديدي للخطاب الدّيني .

- الآلية الواقعيّة: وهي مراعاة الواقعيّة وذلك بتناول مقدّم الخطاب الدّيني مشاغل النَّاسِ واهتماماتهم المتغيّرة، واختلاف مستوياتهم الذهنيّة والمعرفيّة، لأنّه لا حياة لخطاب ديني لا يعيش مشاكل الجماهير وقضاياها، ولا أثر لخطبة لا تلمس أعماق النَّاسِ الوجدانيّة والفكرية والاجتماعيّة، ولا نفع لمحاضرة أو درس أو موعظة لا تراعي واقع الحياة عرضاً وتحليلاً وتشخيصاً للداء، ووصفاً للدواء، وبدون معرفة الدّاعية لواقع النَّاسِ ومشكلاتهم فلن يكون هناك تأثير لبيانه، فلا « يكفى الدّاعية أن يكون قد حصّل العلوم الإسلاميّة والإنسانيّة،

وجال في مراجع الأدب واللغة والتاريخ» (شيخون، 2015). و«ليس الدين مجموع تصوّرات مثاليّة لا تبرح التجريد، بل هو منظومة تعاليم ومبادئ وقيم تتجسّد في حياة الإنسان بروح التّقوى التي بها التزام الاستقامة، والعمل الصّالح في تطبيق ما شرع الله طلبا لعونه ومرضاته» (العليوي، 2008، ص 14).

- آليّة الموضوعيّة: إنّ الموضوعيّة تتطلّب البحث عن الحقيقة، والتمسك بالحقّ، والتجرّد من الأهواء، والكبر والمذهبيّة والتقليد وغيرها.. بقصد الوصول إلى الصّواب والحقّ، و« ينبغي أن يكون طالب الحقّ في طلبه كناشد الضّالّة لا يُفرّق بين أن تظهر على يده أو غيره» (الغزالي، د ت ص 44)، وتعتبر الموضوعية «من أهمّ الصّوابط اللازمة لترسيخ خطاب ديني مستنير وإعادة التّصوّر الصّحيح، والفهم السّليم للمبادئ والأصول الإسلاميّة، وذلك لأنّه ضابط إيماني وأخلاقي» (القرضاوي، 2001 ص 158).

- الآليّة الحضاريّة: وتمثّل في عدم إغفال البعد الحضاري في الخطاب الدّيني، هذا البعد الذي يتجاوز القطريّة إلى الكونيّة، وهي آليّة مهمّة للتّقريب بين الإنسان وأخيه الإنسان، مهما كان جنسه أو لونه أو عقيدته، وأهميّة العناية بالبعد الحضاري وعدم إلغاء التنوّع الحضاري الذي يعبر عن هواجس البشريّة قاطبة ويتجاوز الحزبيّة والمذهبيّة و القطريّة والقوميّة، إلى العالمية والإنسانية و الكونيّة، ليحسّ كل إنسان مهما كان انتماءه أو جنسه أو عقيدته أو موقعه، بأنّه ضمن المشروع الإسلامي.

ولا يمكن اليوم الحديث عن خطاب ديني له بعد حضاري، دون خلفيّة قيمية لها طابع كوني وإنساني، خاصة وأن الإسلام يهدف إلى بناء « مجتمع الحرّيّة والكرامة والعدالة الاجتماعيّة والمساواة، ويؤسّس للمواطنة والحقوق والحرّيّات، باعتبار أنّ هذه المضامين تحقّق أهمّ مطالب الأُمّة الإسلاميّة، فضلا عن المطالب الإنسانيّة، كما أنّها تحقّق الهدف الذي من أجله خلق الله النّاس شعوبا وقبائل، وهو التّعارف والتّعاون على الرغم من الاختلاف والتنوّع» (الشواشي، 2016، ص 51 و 52).

3.3 آليات تتعلّق بمنهج الخطاب :

من المسائل المهمّة لإنجاح الخطاب المسجدي المقدم رسم منهجيّة الموضوع المطروح والتسلسل المنطقي والفكري والتدرّج في الأفكار من فكرة الى فكرة ومن مستوى إلى مستوى

وهذا الجانب لا يعبره عدد من مقدّمي الخطاب المسجدي بتعلّة تمكنه وقدّرتّه وواسع خبرته ودرنته، وتعني المنهجية «الالتزام بمحاوّر معيّنة لا بدّ من تتبعها وطرقها أي الالتزام بتمشّ منهجي لا يمكن الحياد عنه» (النفاتي، 2019 ص 81)، من ذلك مثلاً «دواعي طرح الموضوع من التّقل والعقل والواقع - التّصوص الدينية من القرآن والسنة ذات العلاقة - التّصوص الفكرية والتّاريخية والوقائع والأحداث ذات العلاقة - الطّرح الدّيني للقضية المطروقة والحلول المقترحة - الدّعوة إلى التّفكير في القضية ومعالجة الواقع بالحكمة والرّصانة اللّازمين، ومن ثمة التّحفيز على الإصلاح والتّغيير ..» (النفاتي، 2019، ص 81-82)، وهذه «المحوّر المذكورة لا تعني تقييداً للإمام ولا تعني أنّها ثابتة ترفض أي تغيير أو إضافة وإتّما هي علامات كبرى تنير الدرب وتوضّح المسلك الأمثل» (النفاتي، 2019 ص 82)، للخطاب التّاجح و« يمكن اعتبارها أيضاً المعايير والمقاييس الأساسيّة» (النفاتي، 2019 ص 82)، والتي يمكن أن نقيّم بها تميّز الخطاب عن غيره من الخطابات الأخرى ومدى نجاحه في «حلّ الإشكاليّات وطرح الحلول من وجهة نظر دينيّة وعقلية أيضاً» (النفاتي، 2019 ص 82).

- الآلية العقلية : إنّ من أعظم ما عني به الإسلام في مجال الدّعوة هو تكوين الخطاب العقلي العلمي، ورفض الخطاب الطّيّ الخرافي المقلّد، الذي ينقل كل ما يقرأ أو يسمع، دون أن يعرضه على العقل، أو يضعه موضع اختبار وتمحيص بل يأخذه قضية مسلّمة، وما من دين احتفل بالإدراك العقلي، وتحريره من قيود الوهم والخرافة، ومن الخبط والتّيه بلا دليل. ورغم دور الوحي في تحديد معالم هذا الدّين، وموقفه من القضايا العقائديّة والتّشريعيّة والأخلاقيّة المتّصلة بالإنسان والحياة، فإنّ دور العقل في فهم هذه الأمور وإدراكها يظل دوراً بارزاً، في النّظر وتحصيل البرهان، وشرح التّصوص وتأويلها بما يتناسب مع معطيات العصر، حتى لا تطغى الموروثات الشّعبيّة على التّصوص، فتوجّهها إلى مساندة الخرافات في السّلك الاجتماعي.

- آليّة الموازنات والأولويّات : يقصد بالموازنات والأولويّات الموازنة بين المصالح بعضها مع بعض من جهة، أو المفاسد بعضها مع بعض من جهة ثانية، أو الموازنة بين المصالح والمفاسد من جهة ثالثة، وتقديم الرّاجح منها وفق ضوابط محدّدة مستمدّة من الشّريعة الإسلاميّة، هذا وإنّ معرفة مقدم الخطاب المسجدي لآلية الموازنات والأولويّات يساعده على وضع الأحكام

والقضايا في مراتبها الشرعية بدون تقديم أو تأخير، فلا يؤخر ما حقه التقديم، ولا يقدم ما حقه التأخير، ولا يُصعّر الأمر الكبير، ولا يُكبر الأمر الصغير .

- آلية الوسطية والاعتدال: إنَّ انتهاج منهج الوسطية في الخطاب الديني المسجدي، يساهم في مكافحة التعصّب والانغلاق، لأنّ التعصّب الأعمى والانغلاق الفكري وعدم قبول الرأي الآخر، يشكّل خطراً على المجتمع ووحده واستقراره، لذا يظهر الدور الموكول للخطاب الديني المسجدي في الدعوة إلى الوسطية والاعتدال، يقول الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) {سورة البقرة ، الآية: 143} .

وفي الحث على قيمة مراعاة التوازن بين متطلبات الحياة المادية والروحية، حتى لا تطغى مطالب الروح على الجسد والعكس، فيكون التفريط في عمارة الكون، والعزلة عن الحياة العامة، وإهمال الحقوق الأسرية، وعدم العمل والإنتاج، وإهمال مطالب الروح والانغماس في الحياة المادية فيكون الجفاء الروحي، الذي يكون بدوره سبباً من أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة .

- آلية التيسير: بأن يكون الخطاب الديني المسجدي «منهجه الترغيب والتيسير، وعمدته الرفق في القول واللين، وذلك طلباً للإقناع والتأثير واستمالة النفوس» (السلامي، 1995، ص140-141)، فقد قام واعظ للمؤمن يعظه وأغلظ له القول، فقال له المأمون: أرفق يا رجل، فالله قد بعث من هو خير منك إلى من هو شرّ مني وأمره بالرفق، قال تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) {سورة طه : الآية 44}، فعلى مقدّم الخطاب « توضيح دور الدين في حياة الناس، والتأكيد على جانب التيسير واليسر فيه، وأهميته في بناء الإنسان الحضاري، لا الاقتصار على بيان شكل الممارسات والفروض »(النفاتي، 2019، ص 85).

4.3 آلية التكوين وآلية التقييم :

- آلية التكوين: تعهد المحاطب نفسه بالتكوين، والحرص على حضور اللقاءات والتدوات التكوينية، وخاصة في مواضيع تتعلق بالخطاب الديني محتوى ومنهجاً، لأنّ الاعتقاد بأنّ الخبرة والتجربة كفيلا بالنجاح في الخطاب المسجدي، و عدم التكوين والاستمرار فيه هو اعتقاد خاطئ .

- آليّة التقييم: وتمثّل في تقييم مقدم الخطاب المسجدي لآدائه من خلال «الاستفسار ومعرفة آراء المخلصين الصّادقين وانطباعاتهم والتّحاور معهم حول مدى استفادتهم ومدى تحقيق الخطبة لأهدافها وتأثيرها في الحاضرين ت أثيرا إيجابيا «(النفاتي، 2019، ص 84)، والتّفاعل مع الملاحظات الإيجابية والسلبية من أجل تطوير خطابه، وإدراك أنّ «المرام بعد الخطبة... هو دفع الناس إلى التّفكير في الواقع ومعالجة قضاياها بالعقل والنقل دون ترجيح كفة على أخرى ليخرج المصلّي متوازنا مترشدا على مستوى المادة والروح وعلى مستوى الدّنيا والدّين»(النفاتي، 2019، ص 84).

4. آليات تتعلّق بالمُخاطَب :

لئن كان المُخاطَب هو المستهدف بالخطاب وهو المتلقّي له، وكما أنّ أداء المُخاطَب لخطابه فنٌّ، كذلك طريقة استماع الحاضرين للخطبة فنٌّ آخر، بحيث يتعاون الطّرفان لتحقيق الهدف من هذا الخطاب، وحتى يكون للاستماع أثره، لا بدّ من تكامل طرفيّ المعادلة (المُخاطَب والمُخاطَب) في الوصول إلى الأهداف الموضوعية للخطبة أو الدّرس أو الموعظة أو المحاضرة، وكثيراً ما يتمّ توجيه التّقد إلى الخطيب أو المدرّس أو المحاضر أو الدّاعية باعتبارهم الجانب الأهمّ في المعادلة، بينما يتمّ إغفال الدّور الهامّ لمستمع الخطاب، فمن دوره احترام الآداب الشرعيّة المتعلّقة بآداب المسجد، وحسن الإصغاء والإنصات، وتحيط بكل ذلك جوانب جسديّة و نفسيّة و فكريّة يستفيد منها مستمع الخطاب إذا طبّقها قبل توجّهه إلى المسجد وأثناء حضوره وبعد خروجه منه وهي كالآتي :

1.4 الجانب الجسدي :

يستعدُّ المستمع جسدياً للخطبة مثلاً بأمر عدّة، منها أخذ قسط معتدل من النّوم ليلة الجمعة، حتى لا يغلبه النّعاس أثناء الخطبة، وذلك باتخاذ الأسباب المؤدّية إلى ذلك، كالنّوم المبكّر وترك السّهر الذي اعتاده الناس اليوم، والاعتدال في الطّعام والشّراب، والعمل بالسنن الواردة كالغسل وهو من أوكد السنن، والطّيب، والسّواك، ولبس الحسن من الثّياب المناسب لطبيعة المكان ودرجة الحرارة، فإنّما أمور مساعدة على الاستيعاب وتفتح الدّهن وحسن الاستماع وعدم الانشغال عن الخطاب الدّيني المقدم في المسجد، وعدم التّشاغل قبل الجمعة بأمر الدّنيا التي تشغل الفكر، كالبيع والشّراء وأنواع العقود واللّهو، وقد جاء النّهي

عن البيع بعد النداء ويلحق به أنواع العقود، ولعلّ الأذان الذي يسبق أذان الجمعة في السوق للتذكير بهذا الأمر، كما جاء الأمر بالتبكير إلى الجمعة، والانشغال بأمور الآخرة، كقراءة سورة الكهف والصلاة قبلها تطوعاً، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) {سورة الجمعة، 9-11} .

واختيار المكان المناسب في المسجد بحيث يدنو من الإمام أو الواعظ أو المدرس أو المحاضر متجنباً الاستناد إلى سواري المسجد وجدرانه إلا لعذر، ليكون شديد الانتباه متيقظاً مشدوداً لكلام المخاطب، وأن لا يتخطى الرقاب فيشغل غيره ويؤذيه، ولا يجلس مقابلاً بوجهه الناس فينشغل بالاهتمام بهم ويشغلهم، وعدم اللغو بالكلام مع غيره أو حتى بالإشارة، ويتوجه بوجهه قلبه وعقله إنصاتها واستيعابها وفهما .

2.4 الجانب النفسي والفكري :

يتمثل الجانب النفسي المتعلق بالمخاطب، في تعظيم شأن الخطاب المقدم في المسجد في نفسه، فهو أمر من أوامر الله، وعدم الاستخفاف به أو التهوين من دوره في حياته، الحرص على حضوره وإظهار أهميته، وتعلم وتعليم ماجاء فيه، وهيئة الظروف في البيوت لهذا الحدث ليظهر له هيبة في بيئته الإسلامية، وعدم إصدار حكم مسبق على الخطبة أو الدرس أو المحاضرة بفشلها أو معلومة عن توجهات الخطيب الفكرية أو العلمية، أو توجيه اهتمامه إلى جانب معين يخصه في الخطبة دون الجوانب الأخرى لتحقيق غاياته النفسية، أو تغطية لنقص معين في علمه، فإن كان يعاني من مشكلة اجتماعية أو كان على خلاف مع أحد كالجار ونحوه، فلا يجب عليه أن يتصور أنّ مضمون الخطاب موجه إليه بعينه، و أنّه يطرح مشكلته دون غيرها بقصد الخط من قيمته أو لفت النظر إليه، أو إذا لم يستجب الخطاب المقدم لحاجاته واهتماماته وانتظاراته أعرض عنه وقّلل من شأنه ومن دوره وإن كان مفيداً لغيره، أو التقليل من شأن المخاطب وإن كان أقلّ منه علماً، أو كونه يخالفه في بعض الفروع أو التوجهات الاجتهادية أو الفكرية، لأنّ هذا من شأنه حرمانه من الفائدة، وأن يكون تقييمه المباشر للخطبة موضوعياً وبنياً لا سلبياً، كأن يلتقط الهفوات، ويتسقط الزلات، والحال يقتضي أن يجعل من نفسه قدوة للآخرين .

أما في الجانب الفكري، فيتمثل أولاً في استقبال الأفكار بتمعن و إيجابية و إنزالها على الواقع، فإذا سمع الآيات القرآنية والأحاديث وهو يحفظها أو يسمعها دائماً فلا يُعرض عن الإصغاء والتفكير في معانيها، فإنه سيجد فيها معاني لا تنضب، ومحاولة التركيز على المفاهيم والمعاني المطروحة وفهم مقاصد الخطيب حتى وإن كان الأسلوب أحياناً ضعيفاً، ولا يجعل خطأ الخطيب في الأسلوب أو طول خطبته مانعاً من الفهم .

ومناقشة الخطبة والدّرس والمحاضرة مع الإمام أو مع بعض من حضر، للاستفادة منها، وتوجيه السّؤال للاستفسار أو طلب الإثراء والبحث عن كيفة التّطبيق العملي لها، وإبراز الإيجابيات والتّناصح مع الخطيب، و من المأمومين من بوسعه أن يكمل ما عرض الخطيب من القواعد و الأفكار والشواهد وغيرها بل منهم من بوسعه أن يستذكر منها ما هو أوفر ممّا سمع، ونقل مضمون الخطبة أو الدّرس والمحاضرة إلى غيره ممّن حضر في مسجد آخر، وللنساء في البيوت وكذا أهل الأعدار، أو تسجيلها وتداولها لتعميم الفائدة، فإذا كان أداء المخاطب لخطابه فنّ، كذلك طريقة استماع الحاضرين للدّرس والمحاضرة فنّ أيضاً، بحيث يتعاون المخاطب والمخاطب لتحقيق الهدف المطلوب من الخطاب الدّيني .

5. خاتمة :

إنّ الخطاب والتبليغ طريق الخلاص للعالم، ولأنّ الواقع الذي يعيشه العالم اليوم يفرض على المسلمين أن ينشروا الخير الذي عندهم، والذي يقدم الحلول الناجعة لمشاكل العالم، مستخدمين في ذلك أدوات العصر ولغته في مخاطبة الناس، تحقيقاً للخيرية لهذه الأمة على الأمم، ودور الخطاب الديني المسجدي جدّ مهم في هذا المجال.

وما يمكن التوصل إليه في ختام هذا البحث جملة من النتائج من أهمها :

- أنّ تطوير الخطاب الديني أمانة ومسؤولية وواجب ديني وضرورة عقلية وفكرية .
- أن ترشيد الخطاب الديني حركة دائبة لا تتوقف لعلاقته بواقع المسلمين المتغير، لأن الإسلام دين شامل لشؤون الدين والدنيا، وهذا الخطاب ينبغي أن ينحو هذا المنحى فيساير العصر انطلاقاً من مبادئ الإسلام وقيمه.

- أهمية دور المخاطب والمخاطب في تطوير الخطاب المسجدي، فضلا عن قيمة تضافر الجهود بين الجميع في التنشئة على القيم لأنّ المسؤوليّة مشتركة انطلاقا من الأسرة والمدرسة والجامعة ومكوّنات المجتمع المدني والإعلام، لما فيه صالح الفرد والمجتمع .
- وعليه ففي ضوء ما أسفر عنه البحث يمكن تقديم التوصيات التالية :
- تأهيل القائمين بالخطاب الديني وتأطيرهم وتهيئة أفضل السبل لهم لدراسة علوم الشريعة وتكوينهم بالعلم والثقافة الواسعة والاطلاع على ثقافة الغير، هذا بالإضافة إلى تطوير أساليبهم في تبليغ الدعوة باستغلال وسائل الاتصالات والوسائل التكنولوجية الحديثة.
- المداومة على عملية تقييم دورية لأداء مقدّمي الخطاب المسجدي و ممارسة النقد ومداومة المراجعة
- أهمية اضطلاع علماء الدين في المرحلة الزاهنة، بمهمة الوعظ والتدريس وتقديم المحاضرات وعقد الندوات في المساجد، وإجراء بحوث علمية وميدانية حول موضوع الشأن الديني عموما، وموضوع الخطاب الديني في المساجد خصوصا.
- أنّ تطوير هذا الخطاب لا يكون في المساجد فقط، بل يتعداه إلى فضاءات أخرى سواء كانت تعليمية أو إعلامية أو افتراضية ونحو ذلك.
- عدم اقتصار دور القائم بالخطاب الديني على المسجد فقط، بل عليه الانفتاح على الفضاء المجتمعي، فيساهم في تنظيم حملات المساعدات، والسعي في مصالح الناس وقضاء حوائجهم، ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم ونحو ذلك.. تحقيقا لمعنى القدوة، وأثر ذلك في تقدم المجتمع.
- أن الإصداغ بالخطاب الديني وإن كان راجعا في المقام الأول إلى أهل الذكر من شيوخ وأئمة خطباء ووعاظ ومدرسين، فإن هذا الجهد في التوعية والإرشاد والتوجيه ينبغي أن يعاضده جهود الأولياء والمرين وكل المتلقين والمستمعين للخطاب الديني في التنشئة على القيم، والوعي بأنّ تطوير الخطاب الديني و «النهوض بالمساجد ليس قضية تقتصر على إصلاح الشأن الديني فحسب بل هي مرتبطة بالإصلاح السياسي والتربوي والاقتصادي والاجتماعي»(الشائي،2019، ص 82).

وأرجو أن يكون هذا البحث إضاءة من الإضاءات المرجعية المساعدة على تطوير الخطاب الديني في المساجد، وجعله البديل الذي ينافس الخطابات الفكرية الموازية له في هذا العصر وهي خطابات لا يمكن الاستهانة بطرحها وتأثيرها على الشباب حمايتهم ، وتمكينهم من رؤية واضحة تسهم في تشكيل عقولهم ووعيهم بصورة إيجابية ، بعيدا عن التشدد والتطرف، وأختم بقوله تعالى على لسان شعيب: (إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) {سورة هود، الآية: 88}.

قائمة المراجع باللغة العربية :

• الكتب :

1. إسماعيل (عزّ الدّين) ،الأسس الجماليّة في التّقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط 3، 1974.
2. الأمدي (سيف الدّين)، منتهى السؤل في علم الأصول، الجمعية العلمية الأزهرية المصرية، القاهرة، ج: 1. د ت.
3. الأمدي (سيف الدّين)، الإحكام في أصول الأحكام ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، مج : 1980.
4. الأمدي (سيف الدّين)، المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق عبد الأمير الأعسم ، بغداد، 1985،
5. البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني)، السنن الكبرى ، كتاب جماع أبواب الصلاة التطوع وقيام شهر رمضان، باب القنث في العبادة، والجهد في المداومة، حديث رقم : 4743، 2003.
6. التهانوي (محمد علي)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ج: 2، 1972 .
7. الجابري (محمد عابد) ، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 5، 1994 .
8. الجرجاني (علي بن محمد)، التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت 1978 .
9. ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق محمد علي التّجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 4، ج : 1، 1999 .
10. الحلبي (أحمد بن يوسف)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ط: 1 ، الدار العلمية للكتاب، ج: 1، 1417 هـ/ 1996 م .

11. الدسوقي (محمد)، تجديد الخطاب الإسلامي، مجلة منار الإسلام الإماراتية ، صفر 1423-
ماي 2001 .
12. الزاغب الاصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة ، بيروت،
ج:1، د ت.
13. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)، أساس البلاغة ، دار الفكر، ط 1، 1399،
هـ/1979م
14. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد)، الكشاف، دار الكتاب العربي ، بيروت، ج
1987،4.
15. سمك (عبد الله علي عبد الحميد)، البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة دراسة مقارنة بين التصور
الإسلامي والفكر الوضعي، مطبعة العمرانية ، القاهرة، 1994.
16. الشائبي (إبراهيم)، 01 أوت، 2017، السبل الكفيلة باستعادة الدور الحقيقي للمسجد، مداخلة
بمناسبة وقائع الندوة العلمية المنعقدة بتونس، مضمنة في كتاب المسجد بين الوظيفة والتوظيف، نشر وزارة
الشؤون الدينية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية تونس، 2019 .
17. الشّهري (عبد الهادي بن ظافر)، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دارالكتاب الجديد
المتّحدة، بيروت، ط: 1، 2004 .
18. طه (عبد الرحمان)، ، اللسان والميزان ، طبعة المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1998 .
19. الطيار (أحمد عبدالله)، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد، حولية كلية 4 - أصول
الدين القاهرة ، العدد : 22 ، مج : 3 ، 2005،
20. العدناني(محمد) ، معجم الأخطاء الشائعة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط : 2 ، 1980 .
21. علوش (سعد)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، الدار البيضاء، 1985.
22. العماري (علي) ، أدعياء التجديد مبددون لا مجددون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 1 ، 1414هـ/
1994 م .
23. الغزالي (أبو حامد) إحياء علوم الدين، مكتبة التوفيقية، القاهرة، ج: 1، (د.ت) .
24. القرضاوي (يوسف) المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط : 1 ،
2001.
25. الكفوي (أبو البقاء)، ، الكليات، طبعة مؤسسة الرسالة، بعناية عدنان درويش ومحمد المصري،
بيروت، 1992.
26. مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مج :
1996،2.

27. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، إسطنبول 1989.

28. مكدونيل(ديان)، مقدّمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم عزالدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2001.

29. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، بيروت، دار المشرق، 2000.

30. ابن منظور، لسان العرب، مج: 2 طبعة دار الجليل ودار لسان العرب، بيروت، 1988.

31. ناصف (مصطفى)، اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، 1995.

● المقالات :

1 لتميمي (محسن)، الخطاب الديني المعاصر الأسس والمرتكزات مجلّة الهداية، العدد 172، السنّة 31، صفر، شوال 1427هـ / مارس، نوفمبر 2006 م .

2 السنّامي (محمد المختار) منهاج الهداية الإسلاميّة من خلال الخطب الجمعيّة، دار الغرب الإسلامي، السفر 1، 1995 .

3 للشواشي (سليمان)، الخطاب الديني الواقع والمأمول، مجلّة الهداية، العدد 196، ربيع الأوّل/ ربيع الثاني/ جمادى الأولى 1437هـ - جانفي/ فيفري/ مارس/ 2016 م .

4 العليوي(أبو القاسم)، منهجيّة الخطبة الجمعيّة، مجلّة الهداية العدد 176، السنّة 33، شوال 1429هـ / أكتوبر 2008م.

5 للمزوغني (حسين)، سنة 23، جمادى الأولى، جمادى الثانية 1420هـ / 23 أوت، 21 أكتوبر 1998م، خصائص الخطاب الديني الحديث، مجلّة الهداية، عدد 3، ص: 78، سنة 23، جمادى الأولى، جمادى الثانية 1420هـ / 23 أوت 21 أكتوبر 1998م .

● مواقع على الأنترنت :

1 شيخون (علي)، 8 من ذو القعدة 1436 هـ 23 أوت 2015 السنة: 140، مقال بعنوان : دراسة أزهريّة تكشف: أولويّات العمل الدعوى كاهرم المقلوب.. والتّحديد واجب شرعى لمواجهة الإرهاب، صحيفة الأهرام على شبكة الأنترنت، العدد:

<https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/424094.aspx>.47011

قائمة المراجع الأجنبية :

1. Greimas. A, & Courtes, J. (1979). *Semiotique.Dictionnaire Raisonne de la Theorie du langue*. Paris, Hachet Universel.
2. Mainguneau, D. (1994). *l;enontiationen linguistique francaise*. Paris ,Hachette.